مع الرسول الداعية في القرآن الكريم

السيد محمد حسين فضل الله

«٣»

٥ ـ المسؤولية لا تمثل امتيازاً ذاتياً :

إننا نلاحظ في تاريخ النبي القرآني .. كثيراً من الآيات التي تخاطب النبي بأسلوب الوعيد والتهديد والمواجهة الحسابية الدقيقة على أساس افتراض الإنحراف عن الخط المستقيم في مجال العقيدة أو في مجال العمل .. ولا نجد هناك أي تغليف لهذا الأسلوب بأي غلاف من التبجيل أو التوقير الذي تفرضه طبيعة المستوى العظيم الذي رفعه الله إليه في « ذاته » المقدسة وفي نبوّته العظيمة .

وهذا ما تمثله الآيات التالية :

﴿ **ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ الزمر/ ٦٥ .

﴿ **ولو تَقَوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ الحاقة/ ٤٤ ـ ٤٧ .

﴿ **قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** ﴾ الانعام/ ١٥ .

﴿ **وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين** ﴾ يونس/١٠٥-١٠٦.

إننا نفهم من خلال هذه الآيات ، أن المسؤولية لا تمثل امتيازاً يرتفع به الإنسان عن الإنسجام مع الخط العملي ، بل تمثل مواجهة حقيقية للموقف تحت

طائلة العقاب الشديد ، مما يلغي الأساليب التقليدية التي تعتبر الأشخاص الذين يملكون المراكز القيادية أكبر من النقد أو من مواجهته بالمسؤولية المباشرة على تقدير الإنحراف ، ويفرض على المسلمين - بدلاً من ذلك - أسلوباً جديداً تنطلق فيه المسؤولية لتحدد للإنسان موقعه ومكانته من خلال انسجامه مع خطها العام ، وقد لا نحتاج إلى التنبيه على أن النبي (ص) لم يكن في هذا الإتجاه . . ليفرض في حالته الإشراك أو التقول على الله . . لأن روحه النبوية الرسالية لا تستسلم لمثل هذه الحالات المنحرفة . . التي كانت رسالته من أجل انقاذ الناس منها . . ولكن هذا التنبيه كان أسلوباً عملياً لمخاطبة الأمة من خلال النبي (ص) للإيحاء لهم بمثل هذا الأسلوب في حياتهم العملية .

٦ - مع الفقراء المؤمنين لا مع الأغنياء المترفين :

لقد وردت آيات كثيرة تدعو النبي إلى أن يقرب الفقراء إليه ويعيش معهم باعتبار أنهم يمثلون الفئة المؤمنة التي تلتقي بالله في صفاء ونقاء وروحانية ، ويدعوه إلى أن لا يستسلم للأجواء المترفة المحاطة بزهو الحياة وزينتها مما يعيشه المترفون اللاهون العابثون الذين لا تنفتح قلوبهم لله في خشوع الإيمان .

إننا نلاحظ في هذه الآيات ، انسجاماً مع خط الرسالة في شخصية الرسول عندما ترتبط بالقاعدة المؤمنة من خلال ايمانها الصافي العميق ، بعيداً عن كل مظاهر العظمة والترف . لأن القيمة كل القيمة هو فيما تمثله من الايمان مما يجعل العلاقات خاضعة لذلك . . أما الجوانب الأخرى التي يتعاظم بها الناس خارج نطاق الايمان فقد تجذب الأشخاص الذين لا يعيشون رسالية الحياة بل ينجذبون إلى شهواتها ومظاهرها ، أما الرساليون فقد لا يجدون فيها مجد القيمة بل قد يرونها ضد القيمة من خلال الممارسات المنحرفة التي تهوي بالإنسان إلى مكان سحيق . . إنها ليست عقدة ضد الغني والأغنياء . بل كل ما هناك أنها تتجه اتجاهاً في جانب العلاقة الايجابية للايمان مع الفقر . . وتتحول إلى اتجاه سلبي ي رفض المظاهر المنحرفة للغنى في طريق الضلال . ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** ﴾ الكهف/ ٢٨ .

ونلاحظ في هذه الآية أن الدعوة انطلقت بكلمة « فاصبر نفسك» مما يوحي بأن القضية تحتاج إلى معاناة وتأمل وصبر ، لأن العيش مع المستضعفين قد يوحي للإنسان الغافل بالمهانة التي لا تتناسب مع مركزه الإجتماعي . وقد تطرح القضية بأسلوب آخر يوحي بأن هناك حادثة طلب فيها بعض الناس من النبي أن يطرد من حوله من الفقراء ، فكان التوجيه القرآني في مواجهة هذه العقلية ، باسلوب قويّ حاسم :

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيءٍ وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾ الانعام/ ٥٢ .

إن القضية تطرح على التأكيد على صفتهم الروحية المتمثلة في ممارساتهم العملية لإخلاصهم لله ، بعيداً عن أية صفة أخرى طارئة . . ولا بد للرسول أن ينسجم مع هذا الإتجاه انطلاقاً من عمق رسالته . . فيقربهم إليه ولا يطردهم لفقرهم ووضاعتهم الإجتماعية ، ثم لماذا يطردهم . إن القضية ليست هي علاقته بهم وعلاقتهم به فلا هم يحاسبون عنه ، ولا هو يحاسب عنهم . . وتنتهي الآية إلى اعتبار ذلك ظلماً كبيراً . ويعنف الأسلوب في سورة « عبس » :

﴿ أما من استغنى فأنت له تصدّى وما عليك ألا يَزّكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تَلَهّى ﴾ .

إنه يعالج حالة عامة . . هي حالة الإهتمام بالأغنياء في مقابل التلهي عن الفقراء . . ونتساءل : هل هي دعوة لترك الأغنياء يعيشون على هواهم وضلالهم فيوجهون طاقاتهم في اتجاه الشر والعصيان . . والإكتفاء بالفقراء في مجال الدعوة إلى الله . . ونجيب : ليست القضية كذلك فالدعوة عامة للبشر كلهم فقيرهم وغنيهم ، والنبي مسؤول عن هداية هؤلاء وهؤلاء . . ولكن القضية هي ـ كما صرحت الآيات ـ أن لا يصرف الإنسان بوجهه عن الفقراء ويتلهى عنهم ، لينشغف بالأغنياء وينشغل بهم لمكانتهم ولثروتهم ، وقد لا تكون الرسالة واردة في حسابهم مما يحتاج إلى جهد كبير لإدخالهم في الجوّ واخراجهم من حالات

اللامبالاة ، بينما يقف أولئك الضعفاء الفقراء ، وفي قلوبهم خشية الله التي تدفعهم إلى العمل وفي أعينهم تطلعات الايمان التي تقودهم إلى المعرفة . . فليس بين الداعية وبين السير في رسالته معهم إلا أن يعلمهم فيتعلموا ويأمرهم فيطيعوا فكيف يتركهم حيارى ويستسلم للغافلين السكارى . .

وهكذا نجد في هذه الآيات التي عاشت في أجواء النبي على أساس الأحداث المتنوعة في مسيرة الرسالة . . درساً عملياً لنا أن نعيش الرسالة في أجواء البسطاء والضعفاء والفقراء من المؤمنين الذين يبحثون عن المعرفة وعن الخط العملي السليم ، ولا نوحي لأنفسنا بالمراكز الكبيرة التي نحتلها في المجتمع فنبتعد عنهم ونستطيل عليهم ، لأن المركز الكبير للإنسان الرسالي هو في الإرتباط برسالته وبقاعدته ، لا بامتيازاته الدنيوية . وبذلك يبقى الإرتباط الواعي بالقاعدة على أساس عضوي بعيداً عن الهزاهز السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، لأن ذلك هو السبيل الأفضل لتركيز المسيرة ووعي الهدف ولن يتحول العاملون في سبيل الله إلى طبقة اجتماعية تشعر بالحواجز الطبقية التي تفصلها عن الآخرين فان العمل في سبيل الله ليس مهنة تدر الأرباح بل هي رسالة ترتفع بالإنسان في حياته الفردية والإجتماعية إلى مستوى النبوات السائرة أبداً في طريق الله .

وهناك ناحية أساسية تستوقفنا في هذا المجال ، وهي أن الفقراء يمثلون القاعدة الجاهزة للدعوات التغييرية في الحياة .

أولاً : لأن تلك الدعوات قد انطلقت من موقع الحاجة ألى مواجهة الظلم والطغيان والإنحراف عن خط الله في الحياة ، بالرسالة التي تعمل على اقامة العدل في الأرض وحل مشاكل الإنسان المتنوعة وذلك هو ما يهدف إليه الضعفاء والفقراء الذين يبحثون عن الحركة التي تنقذهم من ضعفهم وفقرهم الأمر الذي يجعلهم الأتباع الطبيعيين للرسالة . . وهذا هو ما نلاحظه في الرسالات السماوية والدعوات الإصلاحية التي بدأت المسيرة بهذه الفئات كما نستوحيه من قوله تعالى : ﴿ **ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي** ﴾ . .

وثانياً : إن الفقراء والضعفاء لا يجدون شيئاً يخسرونه من خلال تحركهم مع الرسالة . . لأنهم لا يملكون الإمتيازات التي يملكها الآخرون ليخافوا من فقدانها عندما يجاهدون ، أو عندما تنتصر الرسالة لتنفذ برنامجها العملي في الحياة . . بينما يتوقف الأغنياء والأقوياء والمترفون . . ليفكروا طويلاً فيما تستهدفه الرسالة أو تؤدي إليه من نتائج صعبة في مواقعهم العامة والخاصة . .

وثالثاً : إن الفئات المضطهدة في المجتمع تظل مرتبطة بالفطرة في صفاءها ونقاءها ، ومنسجمة مع روح البساطة والعفوية في الحياة مما يجعلها أكثر التقاءً وانجذاباً للقيم الروحية الطيبة التي تحملها الرسالات ، وأقرب إلى معانيها البسيطة الصافية . . بينما يبتعد الآخرون عن الفطرة بما تحدثه العلاقات المادية المعقدة ، وما ينتجه الترف من أطماع وشهوات وامتيازات تحجب الإنسان عن رؤية النور في ينابيعه الأولى ، وتجعل بينه وبين الحقيقة حاجزاً كبيراً يبتعد به عن الوضوح في تصور الأشياء .

وهذا هو ما يجب أن نواجهه في حياتنا الإسلامية العملية . بالإنفتاح على قضاياهم ومشاكلهم من خلال الإسلام بدلاً من أن ينفتحوا عليها من خلال المبادىء الأخرى كما يفعل الآخرون .

٧ ـ القرآن يثير نقاط الضعف في حياة المسلمين الأولين :

ربما كان من الأمور التي نواجهها في أعمالنا الشخصية والإجتماعية والرسالية ، قضية اخفاء نقاط الضعف عن أنظار الآخرين والتنكر للذين يثيرونها باعتبار أن ذلك يمس كرامة الفرد والمجتمع والرسالة . . لأننا نحاول دائماً أن نعطي لأنفسنا ولأعمالنا ومبادئنا صفة الكمال المطلق الذي لا يعتريه النقص ولا يطرأ عليه الضعف . . وقد أدى هذا الإتجاه إلى إبقاء نقاط الضعف في مكانها دون إصلاح ، بل ربما تطور الأمر إلى تحولها إلى شيء خطير يهدد الوجود بفعل التنامي والتصاعد المستمر لها في الخفاء وقد يقول بعض الناس . . إن اظهار نقاط الضعف لدى الأمة ينتج سلبيات كبيرة في حياتها الفكرية والعملية لأنه يفقدها

الثقة بنفسها من جهة ، ويغري بها الآخرين من جهة أخرى . . الأمر الذي يجعلها عرضة للإهتزاز والإنهيار . .

ولكننا نجيب على ذلك . . أننا عندما نؤكد على خطورة اخفاء نقاط الضعف ، لا ندعو إلى اظهارها بشكل استعراضي ساذج . . بل كل ما نريده هو أن لا نتنكر لها في عملية النمو والتقدم . لأن ذلك يوقعنا في الخوف المرعب من الأخطاء بالمستوى الذي يحولها إلى عقدة ذاتية تشلّ فينا الشعور الأصيل بالثقة في القدرة على تجاوزها والتغلب عليها ، فيؤدي ذلك إلى الهروب منها والإنهزام أمامها بدلاً من مواجهتها بنقاط القوة من الجهات الأخرى لنحولها إلى نقاط قوة جديدة . . فتتأكد الثقة من جديد وتتعمق عندما نشعر أن قوتنا ليست في خطر ، وأنها تنتقل من موقع إلى موقع في عملية صنع الإنسان للتكامل والفكرة القوية .

وهذا هو الذي واجهه النبي محمد (ص) في بداية الدعوة في مرحلة الايمان الأولى . وفي مرحلة الجهاد والصراع . .

فقد استسلم بعض المؤمنين ـ وهو عمار بن ياسر ـ لنقاط الضعف الموجودة في نفسه فنطق بكلمة الكفر تحت تأثير التعذيب الشديد والإكراه الشرس من قريش . . وجاء إلى رسول الله وهو يشعر بالإهتزاز وقال له النبي لقد أنزل الله فيك قرآناً فان عادوا فعُد . . وذلك قوله تعالى : ﴿ **إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان** ﴾ .

ويحدثنا القرآن الكريم عن اتخاذ الكافرين المؤمنين أولياء ، وينهى المؤمنين عن ذلك . . ثم يستدرك ليلاحظ بأن هناك ظروفاً قاسية قد يستسلم فيها المؤمنون للضغط والإكراه فاباح لهم ذلك على أساس التقية . .

إننا نجد هناك تأكيداً لوجود نقاط ضعف في سلوك المؤمنين في حالات الشدّة . . لكنها ليست مميتة فأراد الله أن يعطي الإنسان الفرصة الطبيعية للإنسجام معها من أجل أن لا يقع في حرج يبعده عن السير الطبيعي للأشياء وذلك في بدايات الايمان . . لأن مثل ذلك لا يعطل المسيرة ولا يشلّ الحركة . . بل يترك لها الفرصة لتستريح وتتنفس في جو بعيد عن الضغط لتبدأ الرحلة من جديد لتقوى

وتشتد فتستقيم لها الإرادة ويمتد بها الايمان وتتجه أهدافها إلى التضحية في نهاية المطاف كما حدث للكثيرين من المسلمين ومنهم عمار بن ياسر صاحب التجربة الأولى في الإكراه . .

ونلتقي بنقاط الضعف الطبيعية من خلال المرحلة في معركة بدر . . فقد حدثنا القرآن الكريم عن فريق من المؤمنين الذين يعترف القرآن بايمانهم . . كيف كان استقبالهم لدعوة النبي في الخروج لقتال قريش .

﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق . . بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ .

﴿ وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويُبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ .

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ .

﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ﴾ .

﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم عذاب أليم ﴾ .

إننا نلاحظ الجو المملوء بنقاط الضعف سواء قبل المعركة بالإحساس بالضعف الشديد الذي يشعرون فيه بحب الحياة ولو على حساب الرسالة . . والخوف من الأعداء إلى حد الإستغاثة ثم الموقف من الأسرى والإحتفاظ بهم للحصول على الفداء منهم لمواجهة الوضع المادي السيء للمسلمين. . مع أن المصلحة تقتضي تصفيتهم انطلاقاً من اضعاف المشركين بالتخلص من كل العناصر القوية فيهم . .

ولكن هذه النقاط لم تمنع من الإنتصار عندما انطلق المسلمون ليحولوها إلى نقاط قوة من خلال تأييد الله لهم وتثبيته لمواقفهم . . وتوجيههم نحو اختيار الحل الأفضل لمشاكل العمل والجهاد . .

٨ ـ الشخص العظيم مرحلة أساسية للعمل ، لا المرحلة النهائية فيه :

إننا نلاحظ وجود ذهنية خطرة على مسار العمل الإسلامي . . وهي الذهنية التي تربط العمل بالشخص العظيم القائد ، وتعتبر أن غيابه يمثل غياب الفرصة الوحيدة للنجاح . . وقد يقودها ذلك إلى اليأس ، أو يدفعها إلى التراجع عن الخط . . ولكن الله سبحانه لا يريد لنا أن نستسلم لهذا اللون من التفكير ، لأن قضية الحياة هي قضية الرسالة التي تمتد في جهادها وحركتها فتصنع الرجال وتحدد المواقف من خلال تحديد الخطوط والأهداف . . أما الرسول فهو المرحلة الكبيرة في ولادة الرسالة وحركتها الأولى وتثبيت قواعدها وتأصيل مفاهيمها وتوضيحها ، فهو الذي اطلق الدعوة وحدّد المسار ، ودفع الأمة إلى الإمتداد فيه على ضوء الهدف الكبير . وتنوعت التجارب في حياته عبر المواقف المختلفة . . ولكنه بشر يموت كما يموت البشر . . وتبقى الرسالة حيّة من بعده لأنها رسالة الله للحياة ليحملها من بعده الرساليون من خلفائه وأتباعه . . وهذا هو ما نستوحيه من قوله تعالى :

﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ . .

فاذا كانت القضية مع النبي في هذا المستوى فكيف تكون مع الآخرين الذين يتسلمون مركز القيادة في مرحلة من مراحل العمل ، سواء أكانت على أساس العلم أو على أساس الحركة . إن على الأمة في مثل هذه الحال أن تؤمن برسالتها وتثق بنفسها فتبحث عن القيادة الجديدة إذا لم تكن بارزة على السطح ، وترتبط بها إذا كانت موجودة في مستوى الثقة . أو تعمل على صنع القيادة في داخلها لتستمر الرسالة في مسيرتها الصاعدة نحو الأفضل .

وفي هذا الإتجاه نشعر أن علينا تفريغ الذهنية الإسلامية من هذه المشاعر العاطفية حتى فيما اعتدناه من كلمات الرثاء للعلماء والعظماء المشتملة على المبالغات الضخمة التي توحي بأن العلم قد مات ولن تقوم له قائمة بعد الفقيد إذا

كان عالماً ، وأن الحياة سوف تنهار وتنتهي بعد القائد الذي انتقل إلى جوار ربه . . وأن الكون سيتوقف عن الإمتداد والفلك عن الدوران .

إن البعض قد يعتبر هذا الأسلوب في الرثاء أسلوباً وجدانياً لا ضرر منه ما دام الشرع لا يتنكر للمبالغة إذا كانت في طريق التقييم لا في مجال الإخبار لتكون كذباً إذا خالفت الواقع ، ولكننا نجد في مثل هذا الأسلوب طريقة خطرة في تربية الذهنية الإسلامية على المفهوم الذي يربط العمل بالشخص ويربط الحركة بالمرحلة الزمنية التي يعيشها هذا الفرد في حياة العمل فلا يثق بوجود أشخاص آخرين يمكنهم أن يكملوا المسيرة ويقودوا العمل من جديد . .

إننا نستوحي من القرآن الكريم خطاً بعيداً عن هذا الإتجاه فاننا نراه يتحدث عن موت النبي بأسلوب بسيط جداً لا أثر فيه للمبالغة ولا لليأس في المستقبل .

﴿ إنك ميت وانهم ميتون ﴾ .

﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ .

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ .

وهناك نقطة حيوية جداً في هذا الإتجاه . . فقد درجنا في تقييمنا للإنتصارات الرسالية أو العسكرية أن نربطها بالشخص دون أن نلتفت إلى القاعدة التي صنعتها فتحركت معه فهو الذي فتح ، وهو الذي هدى . . وهو الذي انتصر . . أما الآخرون فلا قيمة لهم ولا حديث عنهم إلا من خلاله . .

إننا نحتاج إلى عدم إغفال القاعدة التي تتحرك مع القيادة وتنسجم مع خططها وأهدافها . لأنها استطاعت بجهادها واخلاصها وتعاونها مع قيادتها أن تحقق الإنتصارات والإنجازات . فان ذلك يضع الصورة في مكانها الطبيعي ويحقق لنا هدفين عمليين :

١ ـ التخلص من عبادة الشخصية في المسار الطويل ، لأن اعتبار الشخص كل شيء في العمل من دون ملاحظة لرفاق الطريق ، يؤدي إلى تجميع الطاقات في ذاته بعيداً عن حساب طاقات الآخرين مما يجعلهم مجرد آلات تتحرك بدون إرادة أو تفكير .

٢ ـ الايحاء للقاعدة ، دائماً بأن طاقاتها المتحركة تعتبر إحدى الأسس الكبيرة للعمل والإنتصار مضافاً إلى الأساس الكبير المتمثل في حكمة القيادة في تخطيطها الفكري والعملي . . وهذا ما يجعلها تعيش المسؤولية من زاوية الشعور بقيمة الذات . . والشعور بالقضية حيث لا تتحرك الذات بعيداً عن القضية بل تحقق لها الغنى الكبير .

ولعل هذا هو الذي نتمثله في الآيات القرآنية التي تحدثت عن رسول الله والذين معه في قوله تعالى :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل . . كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع نباته ﴾ .

والآيات التي تحدثت عن الذين هاجروا وجاهدوا والذين آووا ونصروا في قوله تعالى :

﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ . . الأنفال/٧٢ . . **﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم ﴾** . . الأنفال/٧٤ .

لتوحي لنا بأن النتائج كانت منطلقة من قيادة النبي وجهد هؤلاء فلم يتحولوا إلى اصفار في المعركة بل كانوا يمثلون أرقاماً حية في حركة العمل .

﴿ يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبّر ﴾ . .

﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ . .

﴿ إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾ . .

* * *

إن هذه الآيات وغيرها تربطنا بفكرة أساسية في حركة الدعوة في الحياة ، وهي أن يتحرك الداعية من موقع الدخول في حياة الناس على أساس الدعوة

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامى

والإنذار ليفسح للدعوة مجال القوة أمام التيارات الأخرى ، وليتفادى ـ على ضوء ذلك ـ كل نقاط الضعف . . وبذلك يتحول كل داعية إلى عنصر مسؤول يحمل على كتفيه عبء الرسالة ويتقدم إلى حلبة الصراع من خلال مسؤوليته من دون أن يخفف ضعف الآخرين من قوة اندفاعه ، أو تشارك قوتهم في اضعاف موقفه لأنه يؤمن بفعل القوة المنطلقة من عناصرها الذاتية ، لا من ضعف الآخرين أو قوتهم . . وذلك هو السبيل الطبيعي للتقدم والتكامل .

إننا نريد إثارة هذا الموضوع في أجواء ما نستوحيه من هذه الآيات التي تحرك الإنسان الداعية نحو العمل على أساس العنصر الذاتي النابع من المسؤولية الرسالية . . لأن هناك فكرة يعيشها الكثيرون من الدعاة ، وهي استيحاء الشعور بالقوة من ضعف الآخرين فنحن نرتاح كثيراً إذا ضعفت هذه القوة المنحرفة ، والكافرة ونحمل الهم الكبير إذا تصاعدت قوة هذه أو تلك في اتجاه الحكم والحياة . . إنه الخطأ الكبير والضعف الساحق أن تستمد قوتك من ضعف الآخرين ، أو تفقد قوتك أمام قوتهم ، لأن صاحب الرسالة هو الذي يتحرك في طريق صنع القوة الذاتية التي تواجه القوى الأخرى لتضعفها ولتستفيد من الضعف الطبيعي لها في سبيل بناء قوة جديدة على أنقاض تلك القوة ، لا أن يدفعها ذلك إلى مزيد من الكسل والإسترخاء .

* * *